

١٩. لا تكن منافقاً...

اعلم يا بني ويا بنيتي أن النفاق في أبسط تعريف له هو: أن يُظهر الإنسان خلاف ما يُبطن.

و"سئل الحسن - (١) - عن النفاق، فقال: هو اختلاف السر والعلانية، والمدخل والمخرج.

وقال: ما خافه إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق - يعني النفاق. وحلف الحسن: ما مضى مؤمن، ولا بقي إلا وهو يخاف النفاق. وفي رواية: إلا وهو من النفاق مشفق، ولا مضى منافق ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن". (٢)

والنفاق داء خبيث، وسم قاتل، وخلق قبيح، لا نهاية لشره، ولا دافع لضرره، سوس ينخر في استقرار أي مجتمع يوجد فيه، يقوض أمنه، ويهدم بناءه، والمنافق في منأى عن العيون والمحاسبة.

وهو أداة شيطانية، لا تدع صالحاً إلا أفسدته، ولا حقاً إلا شوهته، ولا

(١) هو الحسن بن الحسن يكنى بأبي سعيد البصري من كبار التابعين والعلماء العاملين ولد بالمدينة ٢١هـ وتوفي ١١٠هـ بالبصرة وكان كلامه يشبه كلام الأنبياء كما قال عنه الغزالي، وكان كثير الحزن والههم قال حمزة الأعمى: وكنت أدخل على الحسن منزله وهو يبكي، وربما جث إلى وهو يصلي فأسمع بكاءه ونحيبه فقلت له يوماً: إنك تكثر البكاء! فقال: يا بني، ماذا يصنع المؤمن إذا لم يبك؟ يا بني إن البكاء داع إلى الرحمة. فإن استطعت أن تكون عمرك باكياً فافعل، لعله تعالى أن يرحمك. ثم ناد الحسن: بلغنا أن الباكي من خشية الله لا تقطر دموعه قطرة حتى تعتق رقبته من النار. وعن حفص بن عمر قال: بكى الحسن فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أخاف أن يطرحنى غداً في النار ولا يبالي.

(٢) البداية والنهاية ٣٥٩/٥.

نصيحة

باطلاً إلا سعت في تقويته، ونصرة أتباعه.

وبقدر ما ينتشر في المجتمع يكون الفساد والهلاك، وتنتشر بسببه صفات الكذب والجبن، والخيانة، وقول الزور، ويكثر أعوان الباطل، ويقل أعوان الحق، ويتناول السفه على الحكيم، ويقوى المفسد على المصلح.

وهو على قسمين...

الأول : أن يبطن الإنسان الكفر ويظهر الإسلام، وهذا منافق في عقيدته، كافر بالله تعالى.

يدخل الإسلام من باب، ويخرج منه من الباب الآخر، فهو مع المسلمين مسلم، يُقيم الشعائر، ويحافظ على تعاليمه، ويظهر المودة لكل مسلم. فإذا انقلب إلى أعدائه انقلب كافراً حاقداً، يتمنى زوال هذا الدين وأتباعه.

وهذا القسم أخطر القسمين، على الإسلام والمسلمين، إذ هو محسوب عليهما. مأمون جانبه، لا يُحذَر منه، فيكون الضرر منه على الإسلام والمسلمين أشد من ظاهر الكفر، معروف السريرة.

وقد توعد الله تعالى هذا الصنف بأشد ألوان العذاب فقال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُتَفِقِينَ بِأَنَّهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء : ١٣٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء : ١٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُتَفِقِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة : ٦٨].

[التوبة : ٦٨].

نصيحة

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ ۝٧٣﴾ [التوبة: ٧٣] . [التحريم: ٩] .

الثاني: منافق في عمله، وهذا القسم لا يُخرج صاحبه من الإسلام، ولا يجوز وصفه بالنفاق الخالص إلا إذا اجتمعت فيه صفات أربع حددها النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أَوْثَمَنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ". (١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أَوْثَمَنَ خَانَ". (٢)

فإذا توفرت فيه بعض هذه الخصال، لا يُسمى منافقًا، وعلى أية حال فهو نفاق في العمل لا يُخرجه عن دائرة الإسلام.

من أهم صفات المنافقين...

اعلم يا بني أن للمنافقين صفات وعلامات يُعرفون بها، منها...

١- أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة: ٨] .

٢- أنهم يخادعون قال الله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ [البقرة: ٩] .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ۝١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢] .

٣- أنهم مفسدون، قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا

(١) متفق عليه من حديث: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) متفق عليه .

نصيحة

يَسْعُرُونَ ﴿١٢﴾ [البقرة: ١٢].

٤- أنهم يستهزئون بالمؤمنين ويسخرون منهم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ﴾ ﴿١٤﴾ [البقرة: ١٤، ١٥].

٥- أنهم يتحصنون بالأيمان الكاذبة، قال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢﴾ [المنافقون: ١٢].

٦- أنهم يوالون الكافرين، وينصرونهم على المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿بَشِيرِ الْمُتَنَفِّقِينَ إِنَّا ن لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنُغُوتٌ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَن إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَنَفِّقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ [النساء: ١٣٨-١٤٠].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ بَشِيرٌ لِّكَاذِبِينَ﴾ ﴿١١﴾ لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾

[الحشر: ١١، ١٢].

٧- أنهم يعملون على تشييط همة المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَإِذ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿١٢﴾ وَإِذ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا

نصيحة

ثُمَّ سَأِلُوا الْفِتْنَةَ لَا تَوَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّوهُمُ الْأَذْنُرُ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُنْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ [الأحزاب : ١٢ - ١٨].

٨- أنهم لا يحبون أن يتحاكموا إلى الله تعالى ورسوله، قال الله تعالى: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ [النساء : ٦٠ - ٦٣].

٩- أنهم لا يفقهون، قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون : ٧].

١٠- أنهم لا يعلمون، قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون : ٨].

من مضار النفاق...

- ١- المنافق لا يقبل الله منه عملاً صالحاً.
- ٢- المنافق مريض القلب، يفرح إذا أصاب المسلمين ضرر، ويحزن إذا انتصروا، ويتربص بهم الدوائر.
- ٣- المنافقون بخلاء، ولكن ينفقون أموالهم رياء الناس.
- ٤- المنافق ضال باعته وعلمه وعمله.
- ٥- المنافقون والمراءون يتعذبون بأموالهم في الدنيا والآخرة.
- ٦- الشدائد والمحن سرعان ما تظهر المنافق على حقيقته.
- ٧- المنافقون يلتمسون أدنى الأعذار للعود عن الجهاد.
- ٨- المنافقون في كل مكان وزمان إخوة للكافرين والمشركين والملحدين، يشدون أزر بعضهم.
- ٩- النفاق والرياء يوردان أصحابهما المهالك في الدنيا، وغضب الله وأليم عقابه في الآخرة.
- ١٠- وهو محبط للأعمال مهما كثرت".^(١)

